المخطوطات والمكتبات في الحضارة الإسلامية

رضوان منذر الحجار
باحث في الشؤون الإسلامية

إن المخطوطات تمثل أحد آثار الحضارة الإسلامية العريقة في أصالتها، وقد سافرت المخطوطات العربية إلى جميع بقاع العالم لتعرض في المتاحف ودور الكتب العالمية، ويشاهدها الملايين من الباحثين والزائرين عدا الاستفادة منها.

إن المخطوطات العربية والإسلامية تمثل ذاكرة جماعية لحضارة عريقة ساهم أبناؤها في تكوين إرث عميق للحضارة الإنسانية، كما أنها تحمل متعة بصرية إضافةً للمتعة العقلية، وقد صارت تشكل معلماً بارزاً للباحثين في الحضارة الإسلامية، كما أن المخطوطات تعتبر منبعاً ومصدراً لكتب التراث، لذا فلا غنى لأي باحث متخصص في التراث والحضارة الإسلامية من أن يكون لديه إلمام بفن المخطوطات وطرق تحقيقها.

إن تحقيق المخطوطات يعتبر أهم النشاطات العلمية لنشر تراث حضارتنا الإسلامية، وقد بدأ هذا النشاط على يد المستشرقين بغرض اكتشاف الشرق والتعرف على حضارته، ولقد جمعوا في رحلاتهم نحو المشرق مخطوطات كثيرة ثم عادوا بها لأوطانهم ومازال كثير منها مودعٌ في المتاحف ودور الكتب في الغرب، وقد ساهم هذا النشاط بحفظ كثيرٍ من تراثنا وحمايته من الضياع

بسبب الحروب والجوائح التي كانت تضيع بسببه كثير من المخطوطات والآثار الإسلامية[1]، وآخر تلك الجوائح ما تعرضت إليه مخطوطات مدينة حلب من نهب وسرقة من قبل الإرهابيين أعداء الحضارة والوطن، فقد حرموا الأجيال القادمة من التواصل المرئي مع معالم حضارتهم بسرقة المخطوطات وهدم الآثار الإسلامية بدعوى أنها شركيات وبدع وغيرها من الألقاب التكفيرية.

أولا: التعريف بالمخطوطات

يعتبر القرآن الكريم أول مخطوطة في تاريخ المكتبة العربية، والقرآن الكريم كان ومازال كتاب وحي نزل به جبريل (عليه السلام) على قلب سيدنا محمد بن عبد الله (عليه الصلاة والسلام)، محفوظٌ بالصدور والسطور بالسند المتواتر قطعي الثبوت، وليس كتاب تراث وتاريخ كما يزعم بعض أدعياء الحداثة.

وأثناء حركة الفتوحات الإسلامية حمل القرّاء معهم القرآن الكريم لأجل التعليم والدعوة، وقد تميزت الحضارة الإسلامية بنزعتها الإنسانية فلم تتعامل مع ثقافة المجتمعات الجديدة بثقافة الكراهية، فقد استفادت الحضارة الإسلامية من مخطوطات الحضارات السابقة فقاموا بترجمة هذه المخطوطات للعربية لاسيما في عهد الخليفة العباسي المأمون الذي أسس لدار الحكمة في بغداد وذاع فيها صيت كبار المترجمين في الحضارة الإسلامية أمثال ثابت بن قرة وإسحق بن حنين النسطوري.

وقد تعرض كثير من تلك المخطوطات للضياع بسبب الكوارث التي اجتاحت حواضر الحضارة الإسلامية كما حدث لدار الحكمة ببغداد عند اجتياح التتار لها، ولمكتبة طرابلس الذي أسسها واليها القاضي ابن عمار عند اجتياح الفرنجة لها، ولمكتبة قرطبة في الأندلس، بل وصل التضليل عندما اتهم بعض المستشرقين الفاتحين بإحراق مكتبة الإسكندرية، ولكن كما يعرف الدارسون للتاريخ فإن مكتبة الإسكندرية الإغريقية احترقت عند دخول الرومان لمصر.

١ـ صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، ص٧.

ثانيا: ورق المخطوطات

كانت المخطوطات الأولى في الحضارة الإسلامية لا سيما المصاحف الشريفة مصنوعة من الجلد مثل الرق أو الأديم (الجلد الأحمر) والإهاب (الجلد الأبيض)، وقد كانت مكتوبة بالخط الكوفي، ثم تطور الأمر لصناعة الورق البردي المستخرج من نبات البردي، وبحلول القرن الثالث الهجري تقريباً عرفت الحضارة الإسلامية صناعة الورق أو القرطاس بالتواصل التجاري مع الصينين، وقد كان يستخرج من مادة السيليلوز المتوفرة في النباتات الطبيعة مع نقعه بالجير ثم تجفيفه ونقعه بالصمغ والنشا.

وقدكان هناك عدة أنواع من ورق المخطوطات أو الكاغد كما كان يسمى في المشرق أو القرطاس كما كان يسمى بمصر والمغرب أشهرها كما ذكره ابن النديم الورق الطلحي والسليماني والنوحي والخراساني والسمرقندي والجعفري (نسبة لجعفر البرمكي وزير الرشيد)، ولكن كان أجودها الورق البغدادي الذي كان يتميز بأنّ ورقه ثخين، وقد كان يستخرج من نباتات مستنقعات مصب دجله والفرات.

وقد ازدهرت صناعة الورق لتلبي حاجة دكاكين الوراقين الذين كانوا يقومون بنسخ المصاحف والكتب التي يطلبها الزبائن، كما كان لنشوء ديوان الإنشاء الذي كان يتولاه كبار الخطاطين بغية نسخ الأوامر السلطانية أو الأميرية وفي كتابة المراسلات الملكية والاتفاقيات بين الدول عاملٌ في تنشيط صناعة الورق[٢].

إن أهمية معرفة نوع الورق مازالت تعتبر أحد وسائل التأكد والتثبت من مكان وزمان المخطوطة والتبين من صحة نسبتها وخلوها من التزوير.

ثالثا: الحبر ومداد المخطوطات

تميز المداد الذي صنعه أجدادنا بأنه حبر مكون من عناصر طبيعية مما توفره البيئة والطبيعة، وقد كانت هذه العناصر والمواد يتم جمعها ثم تجفيفها

٢- محاضرة بعنوان (جمالية المخطوط العربي) للأستاذ المؤرخ/ أحمد المفتي بتاريخ ٢٠١٧/٤/٥ بالنادي الثقافي العربي بفرع أبو رمانة.

ثم طحنها ثم غليها ثم مزجها مع العناصر الأخرى. فقد كان الحبر والمداد في الحضارة الإسلامية يتكون من عناصر نباتية كنقيع العفص[٣] والصمغ العربي ممزوجاً مع الزاج[٤] فيسمى بمداد الزاج، أو يكون ممزوجا بدل الزاج ببقايا كربونية متفحمة مثل السخام[٥] أو خرق القطن والكتان المحترق ويسمى بالمداد الأسود[٦]، أو ممزوجا بملح النار وهو يجمع من بقايا أتون الحمامات ولكنه كان أقل فعالية من الزاج. ومع ذلك كانت هناك إضافات للمداد لتكسبه رونقا خاصا كالألوان الزاهية أو المواد العطرية ذات الروائح الفواحة، فإضافة الزُنجفر[٧] واستخدام العفص من قشر الرمان لمزيج الحبر أو ماء الحناء يكسبه اللون الأحمر أو اللون الأرجواني، وقد كان المداد الأحمر يستعمل خاصة في المخطوطات الدينية كالقرآن الكريم والحديث الشريف أو إبراز أسماء الله الحسنى في متن النص أو في التبويب والعنونة.

وإضافة الكندر أو فتات المسك أو ماء الورد الدمشقي يكسبه رائحة عطرية فواحة، وقد اشتهر هذا النوع من المداد في نسخ المصاحف، فعلى سبيل المثال كان مصحف السلطان منصور المريني وكذلك السلطان منصور السعدي من ملوك المغرب مكتوب بهذا النوع الغالي والثمين من المداد[٨].

وبعض المصاحف النادرة جدا كانت تنسخ أو تزخرف بمداد الذهب، حيث كانت تضاف للصمغ رقائق من الذهب. ولقد كانت تضاف عناصر طبيعية

٣- العفص: هي مواد قابضة كانت تستخلص من قشور الرمان الحامض، أو ماء التوت، أو نتوءات تفرزها سيقان أشجار السنديان والصبار أو من عصارة الكافور أو الآس.

٤- الزاج: زيت الزاج هي التسمية التي أطلاقها العرب على حمض الكبريت، أما الزاج هي صخور موجودة في الطبيعة كانت تباع عند العطارين وهي عبارة عن أملاح عنصر الكبريت وأشهرها زاج الحديد أو سلفات الحديد وتتميز باللون الأزرق أو زاج النحاس وتتميز بلونها الأخضر.

٥- السخام: بقايا وقود الطبخ المتفحم، وقد كان يصفى ثم ينخل جيدا ثم يضاف لمسحوق العفص والصمغ ويغلى على نار هادئة حتى يصير ثخين الهيئة.

٦- علم المخطوطات العربي، ص /٣٩٠

٧- الزنجفر: نوع من الصخور الموجودة في الطبيعة كان يباع عند العطارين، وكان يلتقط من المناطق البركانية يتميز باللون والصبغة الحمراء وهو يتركب من سلفات الزئبق.

٨- علم المخطوطات العربي، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ط/٢٠١٤، ص٢٨٧.

أخرى للمداد لغرض حماية الكتابة من أذى الذباب والبق والأرضة والحشرات مثل شحم الحنظل وماء الصبار وغيرها.

رابعا : خطوط المخطوطات

يعتبر الخط العربي أحد الأشكال الجمالية للفن الإسلامي، والفن الإسلامي بطبعه فنٌ تجريدي النزعة يعبر فيه الفنان عن المعاني والجمال بأسلوب تجريدي، لأن الإسلام كما هو معروف حرم التصاوير والتماثيل. والخط العربي بشكل عام يعتبر من أهم أشكال جماليات الحضارة الإسلامية، فالعرب أبدعوا الخط الكوفي، والإيرانيون أبدعوا خط التعليق (الخط الفارسي) على يد الخطاط حسن فارس (ت.٣٧٢.هـ)، والأتراك أبدعوا الخط الديواني (الخط السلطاني) على يد الخطاط العثماني إبراهيم منيف حوالي ٨٦٠ هـ.[٩]، وبذلك تشاركت عدة ثقافات إسلامية في إبراز هذا الجمال المكنون.

إن معرفة الخط وتطوره مع مرور الزمن له أهمية في علم المخطوطات، لأن هذه المعرفة تكسب صاحبها القدرة على التأكد من نسبة المخطوطة لصاحبها، والاحتراز من أن تنسب المخطوطة إلى غير أهلها.

تجلى الاهتمام بالخط العربي في نسخ المصاحف، وقد نسخت المصاحف الأولى بالخط الكوفي الذي يتميز بخلوه من التدوير والزخرفة[١٠]، وقد ظلت المصاحف الشريفة تنسخ بهذا الخط حتى ظهر أحد الخطاطين المشهورين وهو ابن مقله (ت.٣٢٨.هـ) الوزير العباسي والذي أحدث نقلة بنسخه المصاحف بخط النسخ الذي يتميز بالوضوح، وتبعه بعد ذلك تلميذه ابن البواب (ت.٤١٣. هـ) حيث له مخطوطة مشهورة لمصحف نسخه بأحد أنواع خط النسخ يدعى بخط الريحاني[١١] وهي مازالت موجودة في مكتبة دبلن[١٢].

٩- إياد الطباع، المخطوط العربي دراسة في أبعاد الزمان والمكان، منشورات وزارة الثقافة السورية ص ١٩.

١٠- من أشهر الأمثلة على هذا النوع من المصاحف مصحف طشقند ومصحف توب غابي (تركيا) ومصحف صنعاء.

١١- الخط الريحاني: هو خط يشبه خط النسخ ولكن يتميز بطول الألف واللام، فيما يشبه أعواد الريحان ومن هنا اشتقت التسمية.

١٢- علم المخطوطات العربي ص ٤٥٧.

وقد أحدث الخطاطون أقلاما خاصة للخطوط وكان أشهرها أقلام الخطوط الستة وهي للثلث والنسخ والمحقق والريحاني والتواقيع والرقاع. قد ظهر بسبب ذلك نوع من المصاحف كتب بأكثر من خط كالنسخ والريحاني أو المحقق والثلث، ويعتقد أن هذه الطريقة تنسب للخطاط ياقوت المستعصمي[١٣]. (ت.٦٩٨.هـ)، ثم ظهرت المصاحف الفاخرة الموجودة في خزائن الخلفاء والسلاطين ما بين القرن السابع والعاشر الهجري في بلاد الشام ومصر المنسوخة بخط الثلث.[١٤]

وفي العهد العثماني صار مشهوراً نسخ المصاحف الشريفة بخط النسخ، وكان من أشهر خطاطي هذا العهد الخطاط حمد الله الأماسي (ت.٩٢٧ .هـ) وانتهاءً بحامد الآمدي (ت.١٤٠٣ .هـ)، ثم تبعه على نفس النهج الخطاطون المعاصرون مثل هاشم البغدادي وعثمان طه.[١٥]

خامساً: تحقيق المخطوطات

أهم عمل يتعلق بالمحقق توثيق اسم ومؤلف المخطوطة، وفي مجال النص خلو المخطوطة من أخطاء التصحيف والتحريف، وتخريج الأحاديث والروايات فيها.

لقد كان من أهم أسباب التصحيف تشابه صور الحروف، ويقصد بالتصحيف مخالفة أصل الكلمة بتغيير حرف أو حروف في الكلمة مع بقاء صورة الخط مع السياق، ومن أسباب التصحيف تعرض المخطوطة للاهتراء فيقوم الباحث بتقدير النقص في مواضع الاهتراء. مثل (تفطر) بدل (تقطر)، ومثل (حمار) بدل (خمار) ومثل (ثبات) بدل (بيان)، ومن أسماء الأعلام (ابن جريح) بدل (ابن جريج)، وإن من أسباب الوقوع في التصحيف كذلك تباين الخط بين المغربي والمشرقي في المخطوطات المنسوخة بالخط المغربي أو الأندلسي،

١٣- علم المخطوطات العربي ص ٤٦٠.

١٤- علم المخطوطات العربي ص ٤٦٣.

١٥- نود الإشارة إلى أن أهم المؤلفات التراثية المتعلقة بالخطوط والكتابة:(تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب) لابن الصائغ (ت.٨٤٥ هـ). وكتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي (ت.٨٢١ هـ)، وكتاب (عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب) لابن باديس (ت.٤٥٤هـ).

بسبب اختلاف إعجام الخط المغربي مثل اشتباه القاف بالفاء، والميم بالعين، والكاف بالطاء.

وقد يقع الباحث في خطأ تقدير أسماء الأعلام عندما يرد الإسم مختصراً في المخطوطة[١٦]، كما قد يقع في خطأ تقدير علامات الاختصار مثل علامة (نبا) فقد يجعلها أنبأنا بدل أخبرنا.

إن التزوير والانتحال وتلفيق الكلام ونسبته للغير أهم الأخطاء في تزييف المخطوطات، ويتعين على المحقق التأكد من خلوه من هذا الخطأ. وهناك طرق تساعد المحقق على التحري عن زمن ومكان المخطوطة ومقارنته مما نسب إليها، ومثاله مخطوطات تفسير القرآن الكريم، فيمكن ملاحظة زمن تأليف المخطوطة من خلال الرواية السائدة زمن التأليف ومقارنتها باسم المؤلف للتأكد من صحتها، فعلى سبيل المثال انتشرت في بلاد الشام رواية ابن عامر لحدود القرن الخامس الهجري، ثم رواية الدوري عن أبي عمرو البصري ما بين القرن الخامس للعاشر الهجري، ثم رواية حفص عن عاصم عند دخول العثمانيين للشام، ويكمن الاستفادة من ذلك في ملاحظة الرواية التي يعتمد عليها في التفسير وتقدير زمن الكلام من ذلك، مثل كلمة (ملك) لقراءة ابن عامر أو (مالك) لرواية حفص في سورة الفاتحة[١٧]، وكلمتي (ظنين) و (نشرا) في رواية الدوري بدل (ضنين) و(بشرا) لرواية حفص، وذلك لأن الرسم القرآني في المراحل الأولى كان خالياً من التنقيط والتشكيل (الإعجام) وأعداد الآيات، والقراءات القرآنية إنما هي من الآثار المتبقية من الأحرف السبعة أو الأوجه المختلفة في اللهجات العربية التي كان رسول الله يجيز تلاوتها[١٨]، ثم بتوجيه

١٦- مثل اسم إسماعيل، فهو إسماعيل بن أبي خالد إذا كان السند كوفيا، وابن علية إذا كان بصريا، وابن عياش إذا كان شاميا، وابن أبي أويس إذا كان مدنيا، ومثل يقال في اسم عطاء ويحيى وجرير وغيرها من أسماء التراجم.

١٧- محاضرة بعنوان (إضاءات من المخطوطة الدمشقية)، للأستاذ إياد الطباع، بتاريخ ٢٠١٧/٤/٥ بالنادي الثقافي العربي فرع أبو رمانة.

١٨- د. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، ص١٣٦.

وإرشاد من الإمام علي قام العلامة النحوي أبو أسود الدؤلي[١٩] بتشكيل وإعجام الرسم القرآني.[٢٠]

ومن الوسائل لذلك معرفة زمن استخدام العلامات في المصاحف، فقد ظهر في العهد المملوكي علامات الوقف والوصل والسكت في المصاحف ولم تكن قبل ذلك متداولة.

ومن مشكلات التحقيق التحقق من نسبة المخطوطة للمؤلف، فهناك أسماء كتب كثيرة مشكوكٌ نسبتها للمؤلف مثل كتاب (المضنون به على غير أهله) للإمام أبو حامد الغزالي، وكتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة، ومثل ذلك يقال في كثير من الكتب التي نسبت لسيدنا محي الدين ابن عربي [٢١] وللإمام

١٩- د. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، ص١٨٨. نود الإشارة أن علامات التشكيل عند المتقدمين كانت على شكل نقط، والشدة كانت على شكل رقم سبعة أو ثمانية، وبعد ذلك تطورت علامات التشكيل للعلامات المعروفة حالياً.

٢٠- نود الإشارة إلى أن الأبجدية العربية واللغة الفصحى مرت بمراحل تطور، وقد كان تدوين وجمع القرآن الكريم سبباً في هذا التطور، فالعرب في زمن التنزيل كانت لديهم لهجات محكية مختلفة، وقد أذن النبي عليه الصلاة والسلام مراعاةً لحالتهم الأمّية تلاوة القرآن بالأحرف أو الأوجه السبعة، وعند جمع القرآن الكريم اتفق الصحابة الكرام وفي مقدمتهم الإمام علي على نسخ القرآن الكريم بلهجة قريش، لأنها أفصح اللهجات العربية، وبذلك نسخ وألغى الرسم القرآني الأحرف السبعة ولكن بقيت بعض آثارها بالقراءات القرآنية، وجميع تلك القراءات المتواترة لم تخالف الرسم القرآني، والذي هو توقيفي بالإجماع. ولهذا السبب مازالت المصاحف الشريفة للآن تُنسخ بالرسم القرآني الذي كتبه الصحابة الكرام رغم أنه غير متوافق مع قواعد الإملاء المعاصرة، كما اتفق الصحابة الكرام على تجريد المصحف عن كل ما ليس منه مثل العبارات المدرجة والكلمات التفسيرية، وباختصار القرآن الكريم له قواعد وأحكام خاصة به في الرسم والتلاوة، محفوظ بالصدور والسطور، وله منهجية خاصة في التفسير، كما أنه معجز في نظمه حتى عجز بلغاء العربية أن يأتوا ولو بآية من مثله. (مصدر: د. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، ص١٧٤-١٧٥). أما الأبجدية العربية فأرجح الدراسات أنها تطورت عن الأبجدية النبطية والتي تعود بأصلها للأبجدية الآرامية، وبالنهاية كلها أبجديات للغات سامية تتشابه في بنية اللغة (قواعد الصرف) وفي الصوتيات وغيرها من السمات المشتركة، كما أن بركة القرآن الكريم جعلت كثيراً من لغات الشعوب الإسلامية ثرية بالكلمات العربية ومكتوبة بالأبجدية العربية مثل اللغة الفارسية والأوردية والعثمانية (اللغة التركية قبل أتاتورك) واللغة الكردية واللغة الأمازيغية، وكلها لغات شقيقة للغة العربية، وللأسف الشديد جرت محاولات خبيثة بتحريض من وكلاء الاستعمار من بني جلدتنا على تغيير الأبجدية العربية في تلك اللغات كي تقطع صلة الأجيال الحديثة بتراث أجدادها، كما جرت دعوات مغرضة للكتابة بالعامية بدل الفصحى في بعض البلاد العربية لهذا الهدف، وإنه مما يذكر بهذه المناسبة موقف الجمهورية الإسلامية في إيران شعباً وقيادة في المحافظة على أبجدية اللغة الفارسية الحالية والتصدي للمحاولات التي تعرضت لها لغات شرقية أخرى مثل اللغة التركية والتي تعرضت للتشوه بعد تغيير أبجديتها للأحرف اللاتينية.

٢١- بالنسبة لمؤلفات الشيخ الأكبر ابن عربي فقد نبه كثير من الباحثين منهم أستاذنا محمود غراب لوجود عبارات منحولة في كتبه لاسيما في فصوص الحكم.

السيوطي، وربما كان بعض النساخ ينسب الكلام لأحد الشخصيات المشهورة بقصد الترويج للكتاب وجذب الناس له.

ومن الأمثلة على الكتب المنحولة والمنسوبة لغير مؤلفها كتاب للجاحظ يسمى (الحنين إلى الأوطان) فقد نشره أولا الأستاذ طاهر الجزائري سنة ١٩١٣ ثم نشره المستشرق ريشر ضمن أعمال الجاحظ في سنة ١٩٣٠ ثم نشره عبد السلام هارون في ١٩٣٢، ولكن لاحظ بعض المحققين أن أسلوب لغة الكتاب تختلف عن أسلوب طريقة الجاحظ وأنه من تلفيق الوراقين، ثم تبين وجود مخطوطة للكتاب واحدة في دبلن والثانية في مكتبة آيا صوفيا في تركيا وهي تحمل اسم مؤلف مختلف اسمه (موسى بن عيسى الكسروي) وقد كان معاصراً للجاحظ[٢٢] ومثل ذلك يقال لكتب نسبت للمبرد والثعالبي، لذا يعتبر عدم الاعتماد على مخطوطة واحدة من أهم أدوات التوثيق في تحقيق المخطوطة.

وهذه الحالة تشبه ظاهرة الوضع في الحديث الشريف، فقد كان بعض الوعاظ ينسبون بعض أقوال الأئمة والصالحين وينسبونها للنبي عليه الصلاة والسلام بغية جذب الأسماع والتأثير في الجماهير، أو إرضاءً لأهواء السلاطين أو دعاية للعصبيات والمذهبيات، وقد تصدى العلماء لهذه الظاهرة الخطيرة وأنشأوا علم الحديث الذي يختص بتمييز الصحيح عن الضعيف عن الموضوع من الروايات.

إن تخريج روايات المخطوطة وبيان صحتها من ضعفها من مهام المحقق، وأشهر طريقة في تخريج الأحاديث الاعتماد على عدة مراجع منها كتاب تحفة الأشراف في معرفة الأطراف للحافظ المزي والجامع الصغير والكبير للسيوطي، أو فهرس الأحاديث للمستشرق فنسنك وزملائه، ومن المراجع المتخصصة في بيان صحة الرواية من خلال دراسة السند كتاب تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، وذلك للتأكد من خلو السند من الانقطاع أو التدليس[٢٣] أو الإرسال أو وجود راوٍ مجهول أو ضعيف وخلوه من العلل والشذوذ وغيرها من عيوب الرواية.

ومما يجب أن ينتبه له المحقق أنه قد تكون الرواية المذكورة في المخطوطة

٢٢- محاضرات في تحقيق النصوص، هلال ناجي، دار التراث الإسلامي، ط١ لعام ١٩٩٤، ص ٢٤.

٢٣- التدليس هي أن يروي الراوي عن راوٍ سمع منه مالم يسمع منه، ويسمى الانقطاع الخفي، وهو من أكثر طرق الرواية خفاءً، وله أقسام أشهرها تدليس الإسناد وتدليس التسوية وتدليس الشيوخ.

ضعيفة الإسناد ولكن لها شواهد ومتابعات تجعلها في رتبة الحسن، لذلك أغلب الانتقادات في عمل التحقيق تتعلق بأخطاء في تخريج الروايات، لا سيما إذا كان تصحيح أو تضعيف الرواية مختلفٌ فيه بين المحققين، وأحياناً يلعب الخلاف المذهبي دورا كبيرا في ترجيح الصحة أو ضعف الرواية.

وقد ساهم علم الحديث في تنقية كثيرٍ من كتب التراث من الروايات المنحولة والمنسوبة لغير أهلها، ورغم ذلك فإنه مازالت كثير من كتب التراث لا تخلو من الروايات المنحولة التي تروى على لسان سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) أو أحد من الأئمة، وتعتبر أسهل طريقة في التقاط زيف أية رواية عرضها على القرآن الكريم، فالرواية حتى تكون صحيحة من حيث الدراية وليس فقط من حيث سند الرواية ألّا تتعارض في منطوقها ومفهومها مع القرآن الكريم.

سادسا : دور المخطوطات في المدن الإسلامية وخصوصاً في مدينة دمشق

عرفت دمشق كغيرها من عواصم الحضارة الإسلامية دورَ المخطوطات والتي أطلق عليها خزانة الكتب كأحد منشآت منظومة الأوقاف الخيرية، وذلك عندما كانت الأوقاف مؤسسة متعددة الوظائف ذات وظيفة اجتماعية وتعليمية وليس فقط محصورة بالوظائف الدينية، وأشهر خزانة للكتب عرفتها دمشق كانت الخزانة السُميساطية[٢٤].

وقد كانت البيوت الدمشقية زاخرة وعامرة بالمخطوطات، وكانت توجد في هذه البيوت فتحات داخل جدار البيوت تسمى ب(المكتبية) وكانت تخزن فيها الكتب ونفائس أخرى، وللأسف الشديد فإن موجات الحداثة المتلاحقة كانت لها أحيانا آثارٌ سيئة على التراث، فقد صارت بعض تلك المخطوطات تعرض وتباع على بسطات الطرق، أو سرقتها وبيعها لسماسرة في الخارج، ولقد قام بعض المثقفين المصلحين

٢٤- تقع السميساطية في المدخل الشمالي للجامع الأموي، وقد كانت داراً للخليفة عمر بن عبد العزيز، ثم تحولت لخانقاه (رباط) واشتهرت في العصر الأيوبي والمملوكي بوجود وقف مشهور فيها وهو خزانة للكتب، ومن كتب التراث المشهورة تفسير الخازن، ولقب الخازن نسبة لأنه كان خازن وقفية الكتب في السميساطية، (المصدر: د. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، ص٨٣). وفي العهد العثماني اشتهرت مدرسة إسماعيل العظم بالخياطين (والد أسعد باشا العظم) بوجود وقفية لخزانة كتب ضمت نفائس المخطوطات، وقد نقل معظمها للمكتبة الظاهرية. (المصدر: أكرم العلبي، خطط دمشق، دار الطباع، ط١ لسنة ١٩٨٩،ص٢٦٩)

مثل الأستاذ طاهر الجزائري بتأسيس المكتبة الظاهرية في دمشق بجوار سوق المسكية (سوق الكتب قديما في دمشق) وتجميع المخطوطات فيها من أجل حماية هذا الكنز من التراث، ثم انتقلت مخطوطات المكتبة الظاهرية لمكتبة الأسد الوطنية، أحد أهم الصروح الحضارية في العالم العربي، وبجوار المسكية كذلك كان تقع المدرسة العادلية والتي كانت المقر السابق لمجمع اللغة العربية، حيث ساهم خبراء المجمع وقتها بجهود مشكورة في تحقيق كثير من كتب التراث.

ومن أشهر ما تم نشره وتحقيقه من مخطوطات كانت موجودة في المكتبة الظاهرية تاريخ دمشق لابن عساكر وقد أشرف على تحقيقه مجمع اللغة العربية بدمشق، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي، والدارس في أخبار المدارس للنعيمي، وفضائل الشام للربعي والعز بن عبد السلام، وتاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني وغيرها الكثير[٢٥].

وقد برز في العصر الحديث عددٌ من مشاهير محققي المخطوطات في سورية مثل الأستاذ صلاح الدين المنجد الذي لقب بسندباد المخطوطات والشيخ عبد القادر بدران وسعيد الأفغاني ومحمد الدهمان وغيرهم الكثير.

وفي مصر اشتهرت فيها دار الكتب المصرية، وفي المدينة المنورة كانت فيها داران لجمع المخطوطات وهما مكتبة عارف حكمت والمكتبة المحمودية، وفي تركيا مكتبة بايزيد في استانبول والمكتبة السليمانية الملحقة بجامع سليمان قانوني ومكتبة كوبريلي ومكتبة قصر توب غابي[٢٦]. وفي إيران هناك المكتبة الوطنية (كتابخانة) التي تضم عددا هائلا من المخطوطات والوثائق التاريخية وتعتبر من الصروح الحضارية لثقافتنا الإسلامية في العصر الحديث، ومنها مكتبة المرعشي التي حوت في محفوظاتها عددا من نوادر المخطوطات.

٢٥- للمزيد: معجم المؤرخين المسلمين، صلاح المنجد، دار الكتاب الجديد ط١ لعام ١٩٧٨.

٢٦- قصر توب غابي أو قصر الباب العالي يعتبر من أهم الآثار الإسلامية ليس في تركيا فحسب وإنما في العالم الإسلامي، وهو يقع بجوار مسجد الفاتح في إستانبول، وقد كان مقرا للسلاطين العثمانيين حتى عهد السلطان عبد المجيد الثاني، حيث توجد فيه قاعة (أمانات مقدسات) التي تضم ما يقارب ثمانين أثراً شريفاً جمعت من سائر أصقاع العالم الإسلامي، منها البردة الشريفة التي كانت في الشام (والتي أهداها النبي عليه الصلاة والسلام للشاعر كعب بن الزهير لإنشاده أول قصيدة في مدح النبي وآله الأطهار وصحبه الكرام، وقد كانت سابقا موجودة في دمشق) وسيف النبي عليه الصلاة والسلام ودرعه وغيرها.